عن الاعمال الي درجات الاحوال قال الامام رضي الله عنه وقيل العبودية التبري من الحول
والمنة والاقرار بما يعطيك ويوليك من الطول والمنة قال الشارح رضي الله عنه
وهذا ايضا من مراتب ارباب الاحوال وهو ان يتبرا من العمل من اضافة شيء من المستحسنات
الي نفسه بجميل الطاعات ويرى نفسه محلا لها ويضيفها الي مجريها ويلهج بقلبه ولسانه
بالشكر عليها قال الامام رضي الله عنه وقيل العبودية معانقة ما امرت به ومفارقة
ما زجرت عنه قال الشارح رضي الله عنه وهذا راجع الي العبادة لا الي العبودية فانه مع
الاعمال ولم يترق الي الاحوال قال الامام رضي الله عنه وسئل محمد بن خفيف متى تصح العبودية
فقال اذا طرح كله على مولاه وصبر معه على بلواه قال الشارح رضي الله عنه وهذا يشمل التوكل
والصبر والرضى وهو من ارباب الاحوال فصلح ان يسمى عبودية قال الامام رضي الله عنه
سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت العباس البغدادي يقول سمعت جعفر
بن محمد بن نصير يقول سمعت ابن مسروق سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يصح التعبد لاحد
حتى لا يخرج من اربعة اشياء من الجوع والعري والفقر والذل قال الشارح رضي الله
عنه وهذا جيد فان احوال العبادة ومقامات المقربين لا تنال الا بكمال الجد من التفرغ
والجد انما يمنعه من التفرغ المطلق ما ذكر من المشغلات وهي الجوع والبرد
والفقر والذل فكل واحد من هاولا مولم وتهرب النفس منه لانه مولم وبعد عن الشهوات
فاذا لم يخف العبد منه وهان عليه تحمله بكمال زهده وصبره على المشاق نال العبودية
قال الامام رضي الله عنه وقيل العبودية ان تسلم اليه كلك وتحمل عليه كلك قال
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان فيه التوكل والتسليم وهو من اشرف المقامات
قال الامام رضي الله عنه وقيل من علامات العبودية ترك التدبير وشهود التقدير
قال الشارح رضي الله عنه وهذا ايضا من باب الاحوال والمقامات فان ترك التدبير
من علامات التوكل والتفويض وشهود التقدير من علامات المراقبة فبهذا الاعتبار
جعلها من علامات العبودية قال الامام رضي الله عنه وقال ذو النون العبودية ان
تكون عبده في كل حال كما انه ربك في كل حال قال الشارح رضي الله عنه وليس هذا ان
تعلم انك عبده في كل حال كما انك تعلم انه ربك في كل حال وانما المقصود من العبودية
ان تكون مع الحق بالنسبة الي جريان الاحكام وتصريف التقدير راضيا مستسلما متواضعا
لما يجريه عليك وهذا معنى العبودية بالحال دون العلم قال الامام رضي الله عنه وقال
الجريري عبيد النعم كثير عددهم وعبيد المنعم عزيز وجودهم قال الشارح رضي الله
عنه وهذا اشارة الي ان العبودية حالة يثمرها النظر الي الله تعالى ودوام مراقبته
وكمال المعرفة بجلاله وعظمته فيذل العبد في نفسه ويكمل انقياده لاوامره ويرضى

بكل ما يجريه عليه من يد الله وافق رضاه او خالفه بخلاف عبيد النعم الذين اذا تغيرت النعم
تغير حالهم فان تطيب احوالهم مع العوافي وتوالي النعم عليهم واذا نزل البلاء وخلاف
الهوى تغيرت احوالهم وهذا في الخلق كثير والاول نادر قليل ولهذا المعنى ما اشار
اليه الشبلي من انه كان عنده ديك يكثر الذكر في الليل فربط رجليه ذات ليلة
فلم يتكلم تلك الليلة فجعله عبرة وقال له انت تذكر الله مع العافية واذا جاءك البلاء تركت
قال الامام رضي الله عنه سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول انت عبد من انت في رقه
واسره فان كنت في اسر نفسك فانت عبد نفسك وان كنت في اسر دنياك فانت عبد
دنياك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد
الخميصة قال الشارح رضي الله عنه والعبد على الحقيقة من ملك فمن ملكه شيء من المشتهيات
حتى شغل قلبه حبه ظاهرا وباطنا في حبسه صح ان يكون مملوكا له لانه صار مشغولا
بحفظه وحراسته والحرص عليه وخوف فواته في صورة العبد الخادم وهذا يجري في كل
منتهى محبوب سواء كان عينا او عرضا حيوانا او جمادا ولذلك ذكر صلى الله عليه وسلم
الدينار والدرهم والخميصة والقطيفة والخبر صحيح وقال في اخره ان اعطي رضي وان لم
يعط لم يرض وفي بعض الطرق تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش قال الامام رضي
الله عنه وراى ابو يزيد رجلا فقال له ما حرفتك فقال خربندة فقال اماتك الله
حمارك لتكون عبد الله لا عبد الحمار قال الشارح وهذا الذي فسرنا به ما تقدم وذلك
انه لما علم ان الخربندة رجل مشغول بدابته ومع هذا يهتم بحاجته اليها وانها
صارت شغله حتى شغلته عن امر اخرته فلما راى علامة الغفلة عليه وعلم الشغل
بامر الحمار ساله عن حرفته فلما قال له خربنده دعا له بان يزيل الله عنه الشغل حتى
يرجع الى الله تعالى ويصير عبدا له وعابدا مشغولا بما امره قال الامام رضي الله عنه
سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه يقول سمعت جدي ابا عمرو بن نجيد يقول لا
تصفو لاحد قدم في العبودية حتى يشاهد اعماله عنده رياء واحواله دعاوى
قال الشارح وهذا الذي فسرنا به العبودية وفرقنا به بين العبادة والعبودة
وجعلنا العبودية وسطا وذلك ان اصحاب العبادة موقوفون مع الاعمال واصحاب
العبودة مستغرقون في الجلال والجمال واصحاب العبودية في شرف الاحوال يتبرؤون
مما هم فيه نظرا لعون الكبير المتعال قال ولا يصح هذا المقام الا اذا تبرا من اضافة
الافعال اليه والاحوال فان اضاف الاعمال اليه كان مرائيا من حيث كونه نظر في عمله
لغير الله وهو نفسه وتبرا من الاحوال فاذا اضافها الى نفسه كان مدعيا فيما لا علاقة
فكمال العبودية ان يرى نفسه محلا لجريان فعل ربه وفضله عليه في عمله وحاله

Copyright © King Saud University